2) المذبح

من الناحية اللاهوتية:

الافخارستيا هي، ومنذ القرن الأوّل، وليمة وذبيحة في آن واحد. وليمة لأنّها كانت تجري في البيوت كوليمة محبّة (أغابيه)، وذبيحة، لأنّ صلاة الشكر فيها ذات طابع تقدمة ذبائحيّة (حسب الذيذاكيه وكلمنضُس الروماني).

في الماضي كان هنالك تجاهل للطابع الذبائحي، بحجة كهنوت المؤمنين العام، وهنا يكمن خطر الوقوع في البروتستنتيّة، ولكن اليوم أعيد الاعتبار للطابع الذبائحي للقداس تماشيًا مع الكتاب المقدس وآباء الكنيسة الأوائل (أغناطوس الأنطاكي ويوستينُس...)، فهي ذبيحة الصليب المحتَفَل بها على المذبح المسيحي، أي الصليب الّذي عليه "ذُبِحُ حملُ فصحنا، وهو المسيح" (١ قور ٥: ٧). معنى كلمة *altar* باللاتينيّة أي مكان تقديم الذبيحة. (٩٨)

وعلى هذا المذبح يضمّ المؤمنون ذبيحتهم الروحية إلى ذبيحة الصليب، هكذا يمارسون دورهم الكهنوتي العامّ.

البابا القديس يوحنا بولس الثاني يقول: "الافخارستيا هي قبل كل شيء ذبيحة. إنّها ذبيحة سرّ الفداء وذبيحة العهد الجديد." (الافخارستيا المقدّسة، ٢٤ شباط ١٩٨٠). (٨٠)

الكنيسة تُعلّم وتؤكّد على شكل الافخارستيا المزدوج: العشاء والذبيحة، والاثنان لا ينفصلان. ولا يمكن التركيز على شكل واحد وتجاهل الآخر. فيسوع هو المحتفل بالعشاء وهو بنفس الوقت الذبيحة. (٨١) – شكل المذبح المستطيل يُشير إلى البعد الذبائحي للافخارستيا (مثل شكل القبر، خاصة القبر المقدّس) بينما شكله المربّع (مثل البيزنطي) يُشير إلى بعده الولائمي (مائدة). (١٠٥)

الطابع الهندسي للكنيسة يجب أن يُبرز هذين البُعدَين اللاهوتيّين: المائدة (العشاء)–المذبح (التقدمة) وبالتالي مكان للكهنوت الأسراري وأيضًا الكهنوت العام، مكان اتّصال وبنفس الوقت انفصال (بمعنى مكان مخصّص و"محجوز" للمقدّس، لاستعمال القداسة، ويصبح مقدّسا *sacro* بسبب الذبيحة *sacrificio* التي هي مقدّسة. وعالم اليوم أكثر من أي وقت بحاجة إلى "القداسة" *sacralità*، خاصة لأنّ هذا العالم يعمل على محو الحواجز والتمييز بين ما هو دُنيوي وما هو مقدّس، بين الخطيئة والقداسة، بين الشرّ والخير، يعمل على إفراغ كل شيء من القداسة ومن الله. (٨٢)

من الناحية الهندسيّة

الأجزاء الرئيسة لمنطقة الهيكل في الكنيسة هي: المذبح، الكاثدرا والمنبر. البابا بندكتس يُضيف إليها الصليب وبيت القربان.

في بناء الكنيسة الجديدة أو ترميم أيّة كنيسة قديمة يجب الانتباه إلى:

١) المذبح هو نقطة الارتكاز للمبنى الكنسي لأنّه نقطة الارتكاز لليتورجيا الكنيسة، فهو "علامة المسيح نفسه، والمكان الّذي منه تنبع أسرار الخلاص، ومركز الحياة المسيحية" (٩٨)

٢) الكنيسة ليست مكانا يحتوي على مذبح كقطعة أثاث، بل هي مكان يُبنى حول المذبح في الأساس، الّذي هو نواة هذا المبنى وسبب إقامته. لذلك لا يمكن تكريس أيّة كنيسة من غير تكريس المذبح، فتكريس المذبح هو قلب رتبة التكريس. ((٩٨) المذبح هو مكان مقدّس (مكرّس) لأنّ حوله تجتمع وتتغذى وتتقدّس الكنيسة. (٩٨)

٣) مادة المذبح: برونز، نحاس، فضة ذهب، حجر، خشب. ولكن غلب الحجر، لأسباب معقولة: حسب العهد القديم (خر ٢٠: ٢٥) "حجر غير منحوت"، ويسوع هو حجر الزاوية (مت ٢١: ٤٢، مز ١١٨: ٢٢–٢٣)، وحسب تقليد الكنيسة القديم قبور الشهداء التي كانت تُقام عليها الذبيحة الإلهية كانت من حجر. (٩٩)، ولكن مثالنا الأوّل هو حجر قبر الخلاص، يوحنا فم الذّهب كان أوّل من أوصى بالمذابح من حجر. ولكن فرض القانون جاء مع المجمع الترنتيني (١٥٩٦). (١٠٠) ولكن مع فاتيكان الثاني صار هنالك استخدام للخشب أيضًا، للتركيز على أن المذبح هو مائدة عشاء. ولكن يوحنا بولس الثاني حذّر من خطر اعتبار

القدّاس فقط كوليمة (*Dominicae Cenae II*)، لكن لاهوت الكنيسة اليوم يدعو إلى النظر إلى المذبح على أنّه يمثّل السيد المسيح وذبيحته. لذلك يجب أن يكون من الحجر، لا بل بقدر الإمكان من قطعة حجر واحدة طبيعيّة (غير مصقولة) رمزًا إلى وحدة شخص السيد المسيح. (*IGMR 263*).

4) المذبح يجب أن يكون ثابتًا كعلامة على ثبات ودوام ذبيحة المسيح. (*IGMR 298*)

5) المذبح الرئيسي في الكنيسة، وفقط هو، يجب أن يتمّ تكريسه (*IGMR 262*) بالمسح بزيت الميرون مع حفر صلبان خمسة عليه، رمزًا لجراحات المسيح الخمسة. (101)

6) يجب أن يكون المذبح "حرًّا" من جميع الجوانب من أجل التبخير.

7) يجب أن يكون فارغًا من أي شيء غير ضروريّ للذبيحة، لذلك يوضع عليه فقط: الخبز والخمر، كتاب القداس، مع مقرأ صغير أو وسادة لإسناد الكتاب. ولكن يُسمح وضع الشمعدانات عليه، أو بالقرب منه، وكتب الإنجيل عند بداية القداس لغاية موعد تلاوة الإنجيل.

8) يجب التزوّد بمنضدة جانبيّة تُدعى *credenza* تُوضَع عليها باقي الأغراض الضرورية للقداس (انابيب الخمر والماء، وغسل الأيدي...) وفي العادة تكون هذه المنضدة مغطاة بشرشف مثل المذبح.

9) ارتفاع المذبح يجب أن يكون مناسبًا وكذلك مقاساته ملائمة للشكل الهندسي للكنيسة.

10) الذخائر في المذبح تقليد يعود إلى القرن الأول وهنالك تلميح عليها في سفر الرؤيا (6: 9). وهي لتكريم القديسين وعلامة إيمان بشركة القديسين وعلامة إيمان بالقيامة. ولكن لا يمكن تكريس الهيكل لأيّ قديس، فالهيكل هو لله فقط. (103)

١١- يجب أن يكون هنالك تكامل واتّصال مكاني وهندسي وفنّي بين المذبح وبيت القربان، بين المذبح والمنبر، بين المذبح والكاثدرا.

١٢- المساحة أمام المذبح: بين منطقة الهيكل وصحن الكنيسة هي مساحة للمشاركة *comunione* والاتّصال *comunicazione*، مساحة لتقديس المؤمنين (قبول المناولة، مكان الجنازات والأكاليل، والرسامات والتثبيت).

الاحتفال بالذبيحة باتّجاه الشعب

ليست من تعاليم فاتيكان الثاني، ولكنّها ممارسة جاءت مباشرة بعد المجمع، نتيجة للاهوت رعوي يُركّز على الشركة وأيضًا لعوامل "ثوريّة" في عصر فاتيكان الثاني مع تنامي التركيز على الطابع "المسرحي" *spettacolo* في المجتمعات الغربية، ولكن هنا نجد البُعد العقائدي-الرمزي ضعيف بمقابل الرمز اللاهوتي الغني: تقديم الذبيحة لله وللمسيح القادم من الشرق. لأنّ لاهوت الذبيحة الإلهية في جوهره يرتكز على البعد الاسكاتولوجي: الجميع في اتّجاه واحد، حركة مشتركة، لأنّ الجميع مع بعض يُقدّم الذبيحة لله، والكاهن هنا هو الّذي يقود الجماعة ويسير أمامها، وليس، كما يعتقد البعض، يُدير ظهره لها. بالاتّجاه نحو الشرق الجميع يقوم بنفس الحركة، في وحدة واحدة وليس ضد بعضهم البعض (فريق يقوم بأمر ما والفريق الآخر يُشاهد فقط). يقول بوييه: "إمّا أن تنظر إلى شخص ما يقوم بعمل من أجلك أو نيابة عنك، أو تعمل معه، ولكنك لا تستطيع أن تقوم بالعملين في آن واحد" (١٠٧). الاتّجاه المناسب أكثر للمشاركة الفاعلة للمؤمنين، لا يعني أن يكونوا مقابل الكاهن، لأنّ هذا يجعل منهم مشاهدين ومراقبين. اذاً مسألة اتّجاه الاحتفال الليتورجي هي في الأساس مسألة لاهوتية وليست هندسية. وإلى اليوم تنتظر الحلّ.

البابا بندكتس قدّم حلًا لهذه المعضلة، كتعويض عن الاتّجاه نحو الشرق يمكن أن يتوجّه الكاهن والمؤمنون معًا باتّجاه موحَّد ومشترك نحو الصليب الموضوع على المذبح: الجميع يتّجه بنظره إلى الصليب في الاحتفال الافخارستيّ، إنّه سجود جماعي، نسير باتّجاه ذاك الّذي يأتي إلينا. فالنظر إلى الصليب يعني أوّلا انتظار المسيح القادم وثانيًا هو رمز لآلامه. فالصليب على المذبح هو نقطة ارتكاز ليتورجيا القداس وهو مثل "ايقونوستاز مفتوح" (١٢٠-١٢٢).

نقاط رعويّة-ليتورجيّة

١) الهيكل مكان رفع الذبيحة واستخدامه فقط عند بدء الأنافورا وليس مكانًا لبداية القداسة أو نهايته أو للوعظ.

٢) عدم إغفال وضع الصليب على المذبح.

٣) شراشف الهيكل هي في جوهرها كفن، وليس شرشف طاولة عاديّة، لذلك يكون شكله مثل الكفن أي مستطيلًا ومتدلّيًا من الجانبين الأيمن والأيسر وليس من الأمام والخلف، بل يُفضل أن يظهر حجر الهيكل من الأمام والخلف.

٤) زينة الهيكل هي الشمعدانات والصليب فقط، لا شيء آخر. لذلك يجب أن تكون الشمعدانات والصليب ملائمة وجميلة وحجمها مناسب للهيكل. يمكن وضع شمعدانان في الأيام العادية، وأربعة في قداس الأحد، وستة في الاحتفالات الكبرى، وسبعة في الاحتفالات الكبرى بحضور أسقف

الأبرشية.

٥) عدم وضع الزهور على المذبح أو أيّة أمور أخرى لا علاقة لها بالذبيحة (كتب، أشكال فنيّة...)، الزهور توضع أسفل الهيكل.

٦) الكاهن هو المسؤول الأوّل عن المذبح، ولا يمكن ترك الأمر للراهبة أن تتحكّم به كما تشاء. لذلك يجب عدم طمس معالم الهيكل في الزينة، ويجب ألا يُستخدم الهيكل ك "لوحة حائط".

٧) في التحضير للقداس، لا توضع القرابين وتوابعها على الهيكل بل على المنضدة الجانبية، ولا تُفرَش الأنديميسي *corporale* قبل بوقت، بل في موعدها عند التقادم من قبل الكاهن فقط أو الشماس الإنجيلي إن وجد.

٨) عند المناولة يتمّ "رفع الكسر" (التطهير) للأواني المقدّسة على المنضدة الجانبية إن أمكن، وإلا على طرف الهيكل وليس في وسطه، وذلك طبعًا بعد استنفاذ ما تبقى من القربان والدم الأقدَسين على الأندميسي أولًا.

٩) عند الانتهاء من المناولة، يُفرَّغ الهيكل من كل الأواني وحتى من كتاب القدّاس، ويوضع في وسطه فقط كتاب الإنجيل، لكي يُحمَل بعد ذلك في تطواف العودة إلى السكرستيا.